جهاد جميل حمد

تقدم

اين عدالتي

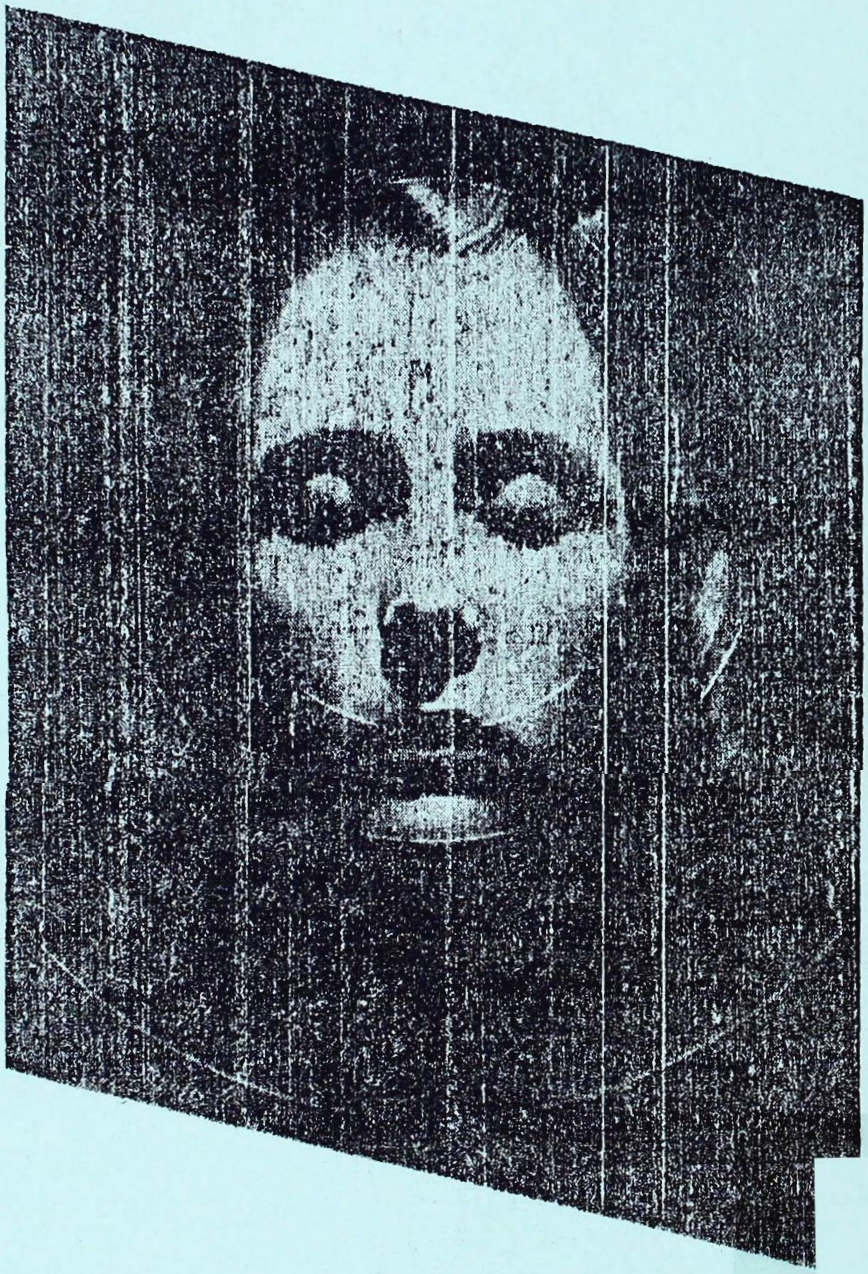

المطبعه الاهليه - اربد

جهاد جميل حنا

تقدم

أين عمالني

الطبعة الاهلية — اربد

المقدمة

بقلم : صاحب الخيمة

الادب هو اسمى رساله في هذه المعمورة . فهو العرق النابض في كل امة من الامم لكونه يعبر عن شعور كل فرد من افرادها .

والادب بقسميه « الشعر والنثر » يحملان اسمى رسالة ليبلغاها الى الكون فتنير الطريق امام الافراد . . . .

ونحن العرب لنا ماض مجيد خلده الادباء في نثرهم وشعرهم وظلوا سائرين حتى اوصلونا إلى ما نحن عليه الان .

ولقد لعبة القصة دوراً هاماً في هذا المضمار . وكان اشدها تأثيراً واكثرها حيويه ... القصه الواقعيه التي تخرج من صميم فؤاد الكاتب . وكم صورت الافراح والاتراح ... وكم صورت المآسي والاحزان ...الا ان القصه التي تعود بنا قليلا الى الوراء تتذكرنا بشيء نفيس اوتحل لنا مشكلة اجتماعيه او تعود تتذكرنا بما اختلست منا . لهي اشد تاثيراً وفعاليه في قلوبنا ... كما في هذه القصة الواقعيه التي صورتها الاخت جهاد في اسلوبها الخاص الذي يبشر بمستقبل زاهر . فهي صورة حيه عن المأساة الفلسطينيه التي يهتز لها قلب كل عربي مؤمن بعروبته .

فهذه اذن قصة فاض بها يراع بنت الاطلال لتريناا مدى التضحيات التي بذلت من اجل الفردوس السليب .. كما تصور لنا ايضا ما خطه القدر بأقوى عرب فلسطين الذين شردوا من ديارهم ليلاقوا الخيام الباليه عوضا

عن الجنه الخضراء التي نهبت منهم .

وتنتقل بنت الاطلال الى ذكرى دوحة الاباء وموئل الاجداد .. الى ظئر العروبه الذي سيعود بالكفاح والتضحيه ... وتنتقل بنا بعد ذلك فتحضنا على ان نكون متكاتفين ساعين لوحدة الصف وارجاع ما اختلس منا

وانني كقارىء من بينكم قد قرأت القصة قبل انتطبع فانفعلت وهـا حب شعوري مما حملني على ان اسلك يراعي واخط هذه المقدمه في هذا الكتيب الذي ان كان صغيرا في الحجم فهو ذا قيمة ادبية عاليه .

وكم تمنيت ان تظهر بنت الاطلال بمظهر شاعرة كما عهدتها .. ولكن لست ادري ما المانع الذي وقف حجر عثرة امامها .

اخي القارىء :

انني لست ابغي من كتابة مقدمتي هذه ـ ان ارفع بنت الاطلال الي الجوزاء ولكنني ادع ذلك لك انت .. كما اردت من كتابتها لفت نظرك الى تشجيع امثال جهاد ليخرج لنا باقة من الادباء ينهضون بالادب العربى . ليستطيع بدوره ان يؤدى رسـالته الساميـة على اكمل وجه ....

اسماعيل شتات

الاهـداء

الى كل عربى مؤمن بعروبته..

الى كل مشرد ... الى كل من سلب حقه فى الحياة ... الى الاحرار في كل مكان ... والى العالم العربى خاصة .

اقدم هذا الكتاب

جهاد حتر

قبل ان نبـدأ

بقلم الشاعر : راضي صدوق

الادب احساس وشعور يترقرق في اعماق الذات الانسانية الزاخرة بالالام الجماهيرية والانعطافات البشرية . وهو ابن الشعور الذى هو ابن الانسان . والطبيعة والادباء هم هؤلاء الناس الذين تحيزوا بفرط حساسيتهم وعمق مشاعرهم دون سواهم . وهم الذين يجولون في اغوار الطبيعه وينفذون الى اعماق النفس البشرية ويكتشفون عن كنه هذه واسرار تلك .

الادباء هم قادة الامم . . . مكانهم من الركب في طليعته . . . يمهدون امامه الدروب المليئة بالحسك والعوسج . . . وهم مسؤولون امام الله والتاريخ عن رسالتهم .

الرساله الادبية التي تتميز بثقل العبء وعظم المسؤولية .

فهل عندنا ادب في الاردن ؟ . . وهل لدينا ادباء حقاً ؟ .. الظواهر تشير الى ان ادبنا ما زال يحبوا ولم يقدر له ان يقف على قدميه حتى الان اذ انه لم يتعمق في الاغوار النفسية ولم يمكنه جمال الطبيعة بل تركها دون أن يتطرق اليها . . ادبنا ما زال يترقرق عن قشور النفس وسطوح الطبيعة . . ادبنا ما زال يعمه في الدياجير وليس هناك شموع او مصابيح تضيء له طريقه المظلم .

ومع هذا فلا يسع القاريء او الباحث الا ان يطمئن بعض الشيء الى مستقبل ادبنا في الغد القريب طالما ان هناك بزاعماً تجاهد حتى تنزع

عنها البتلات لتصافح وجه الشمس وتستنشق ضياءها .هذه البراعم هي املنا في المستقبل القريب . . المستقبل الذي شرعت المرأة في الوقوف الى جانب شريكها الرجل لبنائه على احسن ما يرام .

فالمرأة مزقت الاسداف عن وجهها .. وقلبها .. وروحها.. وخرجت الى الشارع مع الرجل ... فهي تاجره ... ومعلمة واحياناً عاملة في المزرعة والحقل ... كما انها نزعت الخوف الغريزي من اعماقها اخيراً .. وتسللت الى سوق الادب لتشارك الرجل في التعبير عن المشاعر الانسانيه النبيله والكشف عن جمالات الحياة وكهنها وبعض النساء من تفـوق على الرجل في هذه الميدان.

ففي الاردن اديبتان يشار اليهن بالبنان مثل الزميله فدوى طوقان وغيرها .. ولقد اجتاز ادب المرأة في الاردن عدة مراحل حتي وصل الى ماهو عليه الان من تركيز وقوة واسلوب .. ونحن لا ننكر ان الرائدات الاوائل من اديباتنا قد اعترضت طريقهن مصاعب شتى منها الجمود الفكري الذي كان يسيطر على بلادنا في فتره ما قبل شروق الشمس.. والاسلوب الذي كانت تعامل به المرأة كانسانه ضعيفه مهبضه الجناح..
لاتقوى على مقالبـة الرياح والزعازع والاعـاصير .

ومنذ سنوات ظهر في الاردن فوج يتزعم الحركة الادبيه النسائيه من امثال فائزه عبد الحميد ، وياسمين زهران ، وشهـده المصري وثريا ملحس .. وغيرهن .

ولم تمض عدة سنوات حتى تلا وجودهن .. افواج وافواج من

الاديبات الناشئات امثال سهام مناع وبلقيس مصطفى حكمت وسميره قسيم محمد وغيرهن

ودارت عجلة الزمن بسرعة فاذا بنا نرى عـدة براعم زاهيه غضه قد نبتت في الحقل .

كانت الاوراق تحجبها عن الانظار .. هذه البراعم مازالت تجاهد للحصول الى النور .. والهواء .. والماء

فها هي الانسة جهاد حتر الفتاة الصغيره التي تحاول ان تكون فرانسوا ساجان الاردن .. تكتب بشعورها بطفولتها بسذاجتها واي ادب اعظم من ادب السذاجه العفويه ..واصدق من ادب الطفولة الغضه

انها لا تكتب عن الملم بالفن وهذا هو سر نجاحها انها تحدثنا عن قصة نكبتنا في اسلوب ابنائنا الذين ولدوا مع النكبه غير ان هناك عيباً واحدا اخذه على جهاد . هو انها تعبر شعورها باسلوب رجل ولكن ماذنبها وكل اديبات الاردن بل واديبات العالم العربي يصورن احساساتهن ويعبرن من شعورهن باسلوب رجل .

ان جهاد تصور لنا في كتيبها هذا الحنين الغض النكبه في قصة فتاة عركتها رحى النكبه فهل نجحت في هذا التصوير والى اي مدى كان نجاحها ؟

هذا ما ستعرفه وتقف على حقيقته من مطالعتك قصتها وقبل كل شيء تذكر انها صغيره ... صغيرة جدا وانها ليست محترفه ولهذا فهي تحتاج الى عونك وتشجيعك فعسى ان تكون جهاد في المستقبل . عسى ان تكون لنا اديبه يفخر بها تاريخ الادب في المستقبل . وليس ذلك بغريب

راضي صدوق

عضو رابطه الادب الحديث في القاهره

« ١ »

وبدات نسائم العصر الناعمه تعزف على الاغصان لحن الغروب . وارسلت الشمس اشعتها الذهبيه لتلقي آخر نظرة على الطبيعة حيث الامواج تتهادى في سيرها نحوى الشاطىء وقد هدأت حركتها ،حدادا على موت ذلك النهار ..

كان هذا في مدينة يافا عروس البحر . . حيث كانت هدى ساهمه تغذي بصرها بهذا المنظر .. مع انها لم تفكر في احد الايام ان تقف وقفتها تلك .. وكانها كانت على علم بما يكنه القدر لها من خفايا خلف ستار الحياه

وطال وجومها لتشهد امتزاج دموع الشمس ببسمات القمر قد رقت دموعاً سخيه لتشاطر البحر احزانة ومرارته ثم سروره بقدوم القمر مليك الليل الذي يرسل نوره الوضاء على البحر فيظهر مسرح السعداء واجرام المستبدين الذين نكلوا بالشعب العربي المجاهد في فلسطين ..ليبدي جثث المجاهدين الملقاة على الشاطىء الذين مزجت دماؤهم بمياه البحر

فابكت الضمير الانساني وحطمت كيان البشرية ..

وأشاحت هدى بوجهها علها تتعامى عن مسارح الاجرام التي مثلها العدو على مسرح الاحرار الذين باعوا أرواحهم رخيصة في سبيل امتهم ووطنهم .

وتسللت هدى بين سكون الليل ورهبة الغروب حيث كان النهار يحتضر فيسمع البحر أناتـــه .. ثم قفلت راجعة الى حيث كانت حفلة زفاف اخيها مدحت.

كانت الفرحة تغمر ذلك المنزل الانيق الذي يتوسط حدائق لم استطع وصفها ولا يسعني الا ان اقول بانها تبدو وكأنها جزء من الجنة لكن هدى كانت ساهمه تفكر في منظر امول الشمس ونزاع النار .

كان جميع من حولها عاجزين عن لفت نظرها تجاه فرحهم ومرحهم لا تعيي ما تسمعه حولها من زغاريد ونغمات وموسيقى تشعر الجميع بالفرحة

لقد أودعت فكرها غروب الشمس ، منتظرة عودته مع بزوغ القمر وقامت من غفوتها على صرخات حطمت ارجاء السكون ومزقت احشاء الواقع الهادىء الذي كانت تعيش فيه

وتعالت الصرخات المحرقه مدوية مع الاثير فملأت القاعه انهم عصابة من الجنود الاسرائيليين الذين اغتنموا فرصة تألب الناس بهذه المناسبه فاقتحموا القاعه وفتحوا النواه بنادقهم ورشاشاتهم .

لكن فتاتنا . . . لا تزال واجمة من هول المفاجأة . . من هول المصيبه التي اسفرت عن دموع النكبه

واخذت تحدق حولها علها تجد لها منفذاً من ذلك المأزق الذي اوقعها الدهر في شباكه .

واخيراً . . لم تر فتاتاً سوى قطعاً لحميه تتناثر في الفضاء لتعود الى الاوض أشلاء مبعثره . . فيا لها من مصيبة حلت بتلك الفتاه التي اصبحت تسأل نفسها الاوانه تلو الاخرى هل ما اشاهده بهجه وفرحه لحفلة زفاف اخي . . ام ماذا ؟ . وطرقت تنتظر جوابا من وحي ضميرها وسرعان ما وجدت الجواب . نعم سرعان ما وجدته . رصاصة شوهت

منظر وجهها الذي كان يفيض جمالا وينطق بالطهر والسذاجه ويدل على انوثتها الناضجة ــ ففهمت بذلك مصيرها .

وما ان فاقت من غيبوبتها وذهولها حتى لاحت لها اشباح الجريمه تغادر القاعه بعد ما تأكدت من انهاء جريمتها الوحشيه التي قامت على اسس التنكيل بالارواح البريئة .

ورفعت رأسها قليلا فرأت جثثاً هامدة . . رأت ضحايا الغدر والعدوان رأت اطفالا ابرياء لا ذنب لهم غير وجودهم في ليلة الزفاف . . رأت اكليل عروس اخيها مخضب بدمائهما فاصطبغ باثام الجريمة .

شاهدت جميع هذه العجائب فلم تستطع ان تتحرك من مكانها اصبحت تمثالا حجريا . . الى ان هدأت القاعة وخمدت الانفاس ولم يبق الا بقايا انفاسها وصداها يملا القاعة . فقامت متثاقلة وهي تصوب بصرها نحو جثة اخيها مدحت والابتسامه المشرقة ترتسم على محياه فقدمت وقبلته قائلة . «وداعاً يا اخي والى اللقاء في جنان الخلد مثوى الشهداء والاحرار . »

ثم غادرة القاعة بعد ان ألقت نظرتها الاخيرة على الجثث الهامده المتراكمه وسارت في ركب المشردين يحيطهم الظلام بستاره الدامس وغادرت يافا مع الركب الباحث عن العدالة .

« ٢ »

وتسللت بقايا الكواكب السماوية من الاجواء واسود وجه القمر الذي لفه الظلام بردائه ، ليحجب عن الابصار ظلم الانسان لاخيه الانسان بل ليخفي دموع الابرياء ، ولكن عجز عن اخفاء أنات المعذبين ، وتنهدات البائسين . . وسار الركب يطوى السهول والقفار تاركاً وراءه صدى صرخات الاطفال وعويل النساء .

وكان صوت هدى يعلو تلك الاصوات مردداً كلمات تخرج من احشائها المليئه باللوعه والالام مرددة . . : —

وداعاً منبع الاحرار اني

أفارق والجوى يصلي فؤادي

فلن انسى الديار ديار قومي

الى ان يستثار لظى الجهاد

وعلى نغمات هذه العبارات تابع ركب هدى سيره فاكتسى الليل به رونقاً من عذوبة سحر الانغام ، وأنات المصابين ، الى ان انتهى بهم السير في ذلك الليل الحالك السواد . الى ارض تكسوها الرمال الحارقه الى غور « اريحا » وفوجئوا بقطعه نور مشتعله في كبد السماء انها (القمر) الذي استوى على عرش البشرية متربعاً على ملكه . . ليكشف عن مظهر البؤس والاجرام والعذاب واضافت الاقدار العنيفة صفحه جديدة الى بؤسهم وشقائهم اذ رمتهم بسهمها الصائب واردتهم يتخبطون في عالم جهنمي فقدت فيه العداله .

وبزغ فجر اليوم التالي على صوت يفيض بالامل انه الشيخ يبتهل الى الله جل شأنه ـ ان يملا قلوبهم بالايمان والصبر على ما حل بهم من نكبات وانطلقت الشمس من مخدرها مسرعه لتلحق بركب المشردين المعدمين وتصليهم بهجيرها اللافح .

وهنا اخذوا يصرخون . . « اين العداله » اين العدالة . . أين أهل الشهامة والمروءة أهم في الارض أم في السماء ؟ أأحيا أم أموات ان كانوا أحياء فليسرعوا ليشاهدوا اخواناً لهم يباعون ويشترون كسلع زائفه باثمان زهيده بخسة . . ليشاهدوا ابرياء تآمر الدهر عليهم .

وان كانوا أمواتا اسكنهم الله فسيح جناته فقد رحلوا من عالم التعسف والظلم والغدر والخيانة حيث وجدوا مقرا عند مليك مقتدر واني نتبعهم سيما واننا لم نجد مقراً لنا في هذا العالم .

ولا بد من ذلك فليشاركونا آلامنا ان كانوا عادلين فاننا لن نستكين في كفاحنا . . ولن نكل أبدا مهما لاقينا من مصاعب ، بل سنظل سائرين في الطريق حتى نلتقي بعدالتنا سنظل مدى الايام مناضلين في سبيل نيل الحرية لنعيش احرار في فلسطيننا . . تظللنا راية الحق راية العروبة الخفاقة لقد خلقنا احرار . . وسنبقى احرار رغم احكام الاقدار فلا بد للقوميه العربية ان تخضع القدر كما اخضعته من قبل .

وجلجل صراخهم يمزق صداه أرجاء الوادي الذي يحويهم . . وبكى الضمير الانساني لمصيرهم ومع الاسف ذهبت صرخاتهم ادراج الرياح .

وما انتهوا من صرخاتهم التي زلزلت ارجاء المعموره حتى جاءتهم

« وكالة الغوث » تسارع لانقاذهم وتصنع فصلا جديداً من فصول المسرحية التي مثلوها على حساب اشلاء عرب فلسطين .

وبدأت فصلها باعطاء الكتل البشرية الملقاة على الرصيف . .

خياما حتى تكون بؤره الاستيطان وانطوت الايام . . وصدرت بطاقات تزودهم بنفايات المواد الغذائية واصبحوا كما قال الشاعر : —

واللاجئون على ألاغاثة عولوا

يا بؤس من يلجأ الى اعدائه

ولم يكن يسمع في ذلك المأتم سوى تمتمات لا تكاد تتميز انها تمتمات هدى تنفثها مع بقايا انفاسها فتنبعث في الفضاء . . الرحب مندوة باهمال الخونه الذين ساهموا في تشتيتها حيث تقول لهم : —

« ان هذه القطع الباليه قصوركم التي تركتموها في يافا . . وهذه الفضلات غذؤكم . . وهذه الارض القاحله التي تحطون رحالكم فيها هي بيارات البرتقال التي خلفتموها في الفردوس السليب . . فابدأوا حياتكم من جديد على ذكريات الماضي . . وأمل المستقبل . :واحلموا باشراقة الغد القريب . . وجددوا العزم في كفاحكم وسيروا الى الامام . .

والايمان يملأ قلوبكم وان غداً لناظره قريب »

واجعلوا شعاركم الجهاد . . وتجملوا بالصبر ولا تقنطوا من رحمة الله «ولا ييأس من رحمته تعالى الا القوم الكافرون .

فالى الامام . . الى الامام لتنالوا هدفكم الاسمى الذي طالما ضحيتم من أجله . . لتنالوا الوحدة المنشودة والحرية . . ولا تتخاذلوا في البحث عن عدالتكم .

هكذا انتم في الحياه ، يتحتم عليكم ان تكونوا كتلة ملتهبة تكاد تلتهم الكون حتى تعودوا الى جنتكم حتى تعودوا الى فلسطين الحبيبة . . وكونوا على ثقه من أنفسكم لتتمكنوا من اعادة اوطانكم .

وقد شاءت لكم الاقدار بأن تلقيكم في الخيام الممزقة لا تصد عنكم هجير الشمس ، ولا لفحات البرد القارس . . فانظروا الغروب . . نه قبل ساعات النهار ولا يريد ان ينتهي . . وكأنه يجمع اكواما من الحطب ليحرق بها الدنيا ويمنع تسلل الليل .

« ٣ »

وشاءت الاقدار أن تلقي هدى وركبها في الخيام الممزقة التي لا تصد عنهم هجير الشمس ولا لفحة البرد القارس ، وليس لهم الا التذرع بالصبر وان يسلكوا طريقهم الى توطيد دعائم الرزق . . وبدء حياة جديدة .

فرأيت ذاك قد التحق لاحدى الشركات ، وآخر التحق بقافلة الجيش . . وهذا حمل الفانوس والمجرفة ليشتغل عاملا . .

اما هدى فقد آثرت أن تندمج في سلك الاسعاف ، حيث وجدت أن في ذلك ما يعوض عليها ما فات . . لتسدي ما تقدر ان تقوم به من خدمات انسانية .

وليس ركب هدى هو وحده الذي حلت به النكبة ولكن هناك عدد كبير اطلقت عليهم اسم [اللاجئين] .
وأخذوا يجوبون الارض باحثين عن موارد الرزق فتلك فقدت والدها وهذه حرمت من زوجها ، وهذا يتمت اطفاله ، وذاك فقد عقله من تأثير النكبه . . فجميعهم نال نصيبه في هذا الميدان

تعال معي ايها القارىء . . هيا لنستمع الى هتافات المجتمع الذي منهم من يقول مساكين هؤلاء اللاجئين . وآخرون يقولون لولا انهم يستحقون ذلك لما حدث ، وأولئك يهتفون بتهكم .
« الله يلعن الساعة اللي شفناهم فيها » .

وهؤلاء يتضرعون الى الله كي يساعدهم على نكبتهم .

تعال يا أخي لنبحث عن حل عادل لهؤلاء المعذبين المعدمين . . لماذا حكم المجتمع عليهم بانهم مساكين . . ولماذا اتهمهم الناس بأنهم يستحقون ذلك ؟ ولماذا يبتهلون الى الله ليهبهم الصبر لما حل بهم ؟

ترى ..؟ . هم مساكين ؟ أشقياء . . ؟ مجرمون ؟ ليستحقوا ذلك وتحل بهم هذه الكارثة . ؟

فلو حققنا في امرهم . . وانتظرنا جوابا من وحي الضمير الانساني ، لما سمعنا الا الجواب الصادق وهو : لا . . انهم اسمى من ذلك ، انهم ضحوا بكل غالى ونفيس حتى يعيشوا احرار . . وليصدوا عنهم البطش والطغيان .

ولكن . . حال بينهم وبين ذلك عصبة من الاوغاد المأجورين الذين خلقتهم دول الاستعمار لاهدافها ومصالحها الخاصه .

فلماذا نسمي ذلك قضاء وقدر ؟

لماذا لا نواجه الحقيقه ونخلع ثوب الخنوع لنستبدله بثوب الواقع . . لماذا لا نترك حياة الخيال . . ونتنصل من الاستعمار الفكرى الذى نحن بصدده . . لماذا لا نعمل يدا واحده . . لنستعيد ما سلب منا . . لنستعيد فردوسنا السليب الذي يرزح تحت عبء الصهيونية الزائفة وحقنا السليب .

ولسنا بعاجزين عن ذلك . . اذا عمدنا بكل جوارحنا لماذا

لا نظهر مجتمعنا من الخونه والايدي الهدامه . . ومن عملاء الاجانب والانتهازيين الذين يرتكز عليهم الاستعمار لتنفيذ مؤامراته في بلادنا لتمزيق القومية العربية وقتل تلك الشعوب التي لا ذنب لها في الحياة سوى مطالبتها بالعدالة .

انها خلقت لتعيش بين عدالة السماء والارض فهل خانتها السماء بعدالتها ؟ ام الارض ؟ .

لا بل خانتها زمرة المنافقين المأجورين الذين باعوا ضمائرهم بالمال ودنسوا انفسهم ، وما زالوا يدعون بأنهم اشراف .

ان السماء ما زالت تمطرهم بوابل من عدالتها والارض تحتفظ بعهدها لصديقتها السماء التي تشاركها في عدالة البشرية .

ولكن البشر هم الذين اختاروا لانفسهم ذلك وأي بشر اعني في قولي . . سوى أولئك الذين آثروا الا أن يكونوا خونه . . مرتزقين لا ضمير يؤنبهم . وانما همهم الوحيد جمع المال بالطرق التي تتنافى مع مكارم الاخلاق ومفهوم الانسانية .

لماذا لا تحاول كل منا ان تكون خولة وحليمه والخنساء نساء الماضي اللواتي خلد ذكرهن التاريخ .. وسطرت أسماؤهن في سجل الخلود الذهبي رجاء وأخواتها . . جميله بوحيرد ، فتاة الجزائر المكافحه وغيرهن من فتيات الحاضر .

فها هي هدى . فها هي تذكرنا بماضينا الخالد التليد وتدعونا لمشاركتها بالتضحية في سبيل نيل الحرية تدعونا لنسير في ركبها .

انظروا اليها . . انها تحمل في يدها مشعل الهداية فتدلنا الى الحقيقة . . الى الطريق . . طريق الأمل . . طريق العدالة المنشودة .

« ٤ »

اذ بدأت فتاتنا تقوم بالواجب الذي القي على عاتقها وتقدس الواجب الانساني وتقدم ما يعجز عن تقديمه بنو البشر من خدمات وتضحيات تجاه أخوانها المصابين وكأن ضميرها وعطفها وحنانها يوحي اليها بأن تقوم بمثل هذه الاعمال وتتصرف بمثل هذا التصرف المحمود لكي ترضي ضميرها الانساني .

ولا بد من ان يلاحظ المسؤل عن المستشفى (الدكتور فؤاد) وقد كان هذا يشعر بالحب والحنان والالم حين يراها فلا سعاده لقلبه الا حين يراها تخطر ذهابا وايابا بين حشود الممرضات ويؤلمه مرآها حين تنهك في العمل دون توقف أو استراحة .

فلم يجد فؤاد لشعوره مبررا نحو هدى ولم يكن مصدر حبه الا مجرد أعجاب بنشاطها وتفانيا بالقيام بالواجب .

وكم حاول فؤاد أن يبدي هذا الشعور لها ويظهر مدى أعجابه بها ولكنه كان يخشى احراجها ففضل ان يكتم هذا السر الجوهري في صدره الى أن تتيح له الفرصة المناسبة وكان يتألم من اجلها فهي تقاسي مرارة البؤس والشقاء والحرمان ، ولم يهتد الى وسيلة لمواساتها وآثر أن يستمر في هذا النزاع بينه وبين نفسه وأقسم ان يحتفظ بمكنونات قلبه وان يضاعف احترامه وتقديره لها .

ففي كل ساعة وفي كل يوم كان يتضاعف حبه لها ولكن تبا للأقدار ان وجودها كان يبعث بصيص الامل الذي ينبئه بحياة رسم نهجها في مخيلته وخواطره ولكن نفسه تعود الى الفزع ، ويعمد الى تقديم خدمة تجاه فتاتنا الا ان الفرص والظروف لم تسمح له بل وقفت صخرة صلدة أمامه .

هكذا عاش فؤاد بين ياس والم عاش ليكمل مشاهدة مسرحية البؤس والشقاء .

أخذ ينزوي بنفسه كي يشارك فتاته الامها ومواجعها المبهمه اما هدى فقد شعرت بما يكنه لها وكبتت شعورها من خبايا صدرها ليستطيع المحافظة على شخصيتها فلم تحاول الاستفسار عن سبب النظرات المتتالية التي كانت تصيبها كالسهام الحادة .

وفي ذلك اليوم الذي جلس فيه فؤاد في مكتبه سمع جرس الهاتف يستدعيه يرقص قلبه وكأنه سلكاً كهربائياً قد سرى في اعضائه عندما عرف المتكلم انها هدى تستدعيه الى غرفة الجراحة فهناك مصاب يحتاج الى الاسعاف السريع .

وسرعان ما القى بالسماعة من يده وسار يلبي الدعوة ويغذ الخطى صوب المكان المقصود مستميتاً في سبيل القيام بالواجب المقدس

كما ساهمت هدى مساهمة فعاله وأسفرت النتيجة عن نجاح موفق للعملية التي أجريت لنزع ثلاث رصاصات من جوف المريض الذي أصيب بهن في المعركة .

هذا وما زالت معارك العرب ضد الصهاينة الاوغاد على أشدها تزداد استعارا يوماً بعد يوم مما أدى الى تكوين حلقة من فتيات الدفاع المدني وكانت هدى في المقدمة اذ كانت أنذاك في الصف الاول من المنتظمه .

وداوت رحى المعركة حتى شملت الشباب والفتيات والشيوخ ومشت النساء لتثير روح الحمية والدفاع في قلوب المناضلين الاحرار .

وكان لا بد لفؤاد من ان يلتقي بهدى في ساحة الوغى والقى نظرة عامة على المناضلين .

ففوجىء بفتاته تسرع فترفع مناضلا سقط على الارض من تلك الرصاصة التي اخترقت جانبه .

فالهبت الحمية روح الفداء والوطنية والتفاني في قلب فؤاد وركض يحمل عدته في حقيبته ولما وصلها ابتسم وكأنه وجد ضالته اذ وجد المناسبةالتي تمكنه من بث شعوره تجاه فتاته .

ورفع المصاب الذي كان يلقى رأسه على صدرها كالطفل الذي يشتكي مواجعه لامه الرؤوم .

وانهمك يضمد جراحات المناضل الذى يتألم فداهمته هي على وقفته تلك ، شظية قذيفه القاها العدو صوب المناضلين .

فوقع بالقرب من الفتاة فاعتراها الحزن والجزع انها في حيره... أتسعف فؤاد . . ام المناضل الذبيح الذي حضنته وهو يلفظ بقايا أنفاسه

الاخيرة . وطلبت النجدة السريعة من المنظمة فحضرت فتة منها حملت الملقى في حضنها والدموع تنهمر على وجنتيها الزهريتين لتنم عن الالم المرير الذي حل بها . . وتسمرت عينا فواد في وجهها انه لا يريد ان يجد له منظرا سوى دموع هدى فلم يستطع البكاء لشدة ما عاناه من الالام ولكن قلبه بكى وشاركته هدى بدموعها السخينة .

وحمل المسعفون الجثة التي تنبض بأسمى معاني الحب والوفاء واجريت له بعض الاسعافات الاولية السريعة . . فالجرح بليغ والاصابة اليمه لذلك نقل فؤاد للمستشفى .

وكانت هدى تعوده في كل يوم مرتين فأكثر لتطمئن على صحته . وبذلت النفس والنفيس في سبيل شفائه . وتحسنت صحته قليلا شعر بعدها بأنه يستطيع محادثة فتاته .

أرسل يطلبها . . ومضت الممرضة تدعوها فلما علمت بأنه فؤاد يود مخاطبتها أسرعت لتطلع على ما يريد . . ولما رآها ، تنهد زفرة عميقة تبعث في النفوس الامل . . ثم الالم . . فابتسمت هدى عندما شاهدته يسند رأسه الى وسائد . . ويغطي جثته شرشف أبيض وبالقرب من سريرة خزانة صغيرة بيضاء وضعت عليها بعض المجلات .

فجلست على السرير بالقرب من قدميه بعد ان حيته واستفسرت عن صحته وتمنت له عاجل الشفاء

فقال محادثها : « هدى » وتلعثمت بقايا الكلمات تحت لسانه . . فبانت

امارات الاعجاب في وجهها فاجابته وقد سرى الدم يغلي في بدنها فأخذ يصعد في شرايينها تارة ويهبط مرة أخرى . . فيزيدها جمالا وبهجة أجابته وقد استقر الدم يصبغ وجنتيها دليل الخجل ! « نعم ماذا تريد يا فؤاد ؟ »

ولم يستطع فؤاد الكلام ، . . انه مصاب ومكلوم ما زال الجرح يؤلمه انه جرح بليغ في صدره بعد صمت فترة جمع خلالها قواه طلب اليها أن تذهب الى مكتبه وتحضر اليه بعض الاوراق من دوسيته وضعت على المكتب . . فلم تجد هدى لها منفذا من موقفها الحرج هذا الا ان تلبي طلبه .

وسارت متثاقله الى مكتبه وفتحت الباب وحملت بيدها دستة من الاوراق وخرجت .

وبينما هي تسير لمحت ورقة بان في ادناها توقيع فؤاد فحدقت في التوقيع فقرأت (فؤاد سالم)فتسمرت في مكانها وكأنها قد عرفت شيئاً غريباً ثم تابعت سيرها الى غرفة فؤاد . . فانتبه اليها . . ومد بيده ليتناول الوريقات من يدها فاضطربت قليلا ، ولكنها لم تبد اكتراثا بالامر فقال فؤاد متلعثماً : « شكراً » وجلست تنتظر حلا لحيرتها وقلقها .

فلاحظ على ملامح وجهها الفتى الجريح سراً خفياً تخفيه في احشائها فجمع قواه ثانية ليسألها « هدى ما بالك مضطربة ؟ » فآثرت هدى الصراحة والتخلص من القلق فقالت : فؤاد ارجوك بأن تعلمني بما اسألك به .

واقسم فؤاد لها بأنه سيخبرها بكل ما تريد فقالت : ما اسم والدك

ومن أين انتم واين كنتم تقطنون قبل النكبة ؟ فقال : اليك ما سألتيه ان اسم والدي سالم . . وقد كنا نقطن مدينة يافا عروس الساحل وهنا اندثرت الكلمات من فيه . . فصمت ليجد الجواب من هدى حيث قالت اليس اخوك يدعى (مدحت) واختك هدى فانبهر فؤاد ولاحت امارات الحيرة والعجب في سمات وجهه واسند رأسه ليستفسر عن السر الدفين وارهفت هدى بلهفة تسأله فؤاد . . ومتى هجرتم يافا ؟ فقال سنة ١٩٤٨ في الثورات الاخيره التي قام بها العرب ضد اليهود فاحتل اليهود يافا وغيرها من المدن العربية . . حيث كانت ليلتها يوم الهجرة . . يوم حفلة زفاف أخي (مدحت) .

وهنا صرخت هدى بأعالي صوتها « أخي أخي أخي . . حبيبي فؤاد .

فهرع من في المستشفى على أثر الصراخ ولم يشاهد في غرفة فؤاد الا اناس ازدحموا للاستفسار عن مبعث الصراخ . . وقد كانت هدى تعانق فؤاد وقد ركل الاغطية عنه فلم يعد يطيق بعد الا أخته الحبيبه وبكى الفتى ومزجت دموعه بدموع شقيقته . . وبكى من في حضرتهم بكوا فرحه باللقاء . . وألماً لمرير المصاب .

ومضت الايام تترى وصحته في انهيار وضعف واخته تبذل روحها لفداء اخيها . لاخيها الذي جمعها الدهر به فأسعدها بلقياه والمها بآلامه

لو أنها علمت بالسر من قبل لو تعرضت اليه من قبل لما تركته يخرج الى ساحة الوغى .

ولكن هذه مشيئة الاقدار . . ولا مفر منها . . لقد كتبت لها الاقدار البؤس منذ بداية رواية حياتها فشردتها . . وشتتها عن اهلها ثم جمعتها بأخيها . . لكنه يلفظ انفاسه وليس لها الا ان تتضرع لله يشفيه فيسعدها الدهر باجتماعها فتعيش معه .

« ٥ »

بين لحظة ولحظة . . يحيا يأس . . ويموت أمل . . تدمع عينان . . وتبتسم شفاه .

فها قد اشرقت شمس أحد الايام لتكشف نقابا عن شيء كان مجهولا لدى فتاتنا .

اشرقت لتبدأ هدى حياة جديده لقد تحطم فؤادها . . كان حب الامل في العيش السعيد بين هدى وأخيها . . كزورق قارب النجاة والوصول الى شاطىء السعادة التي تطمع اليها النفوس المحبة المعيش الرغيد .

وبعد ان صارع فؤاد الحياة . . وأوشك الوصول الى الشاطىء بعد ان ايقنا بأنهما سيعيشان حياة هنيئة في بيت واحد . . شوهد القدر ممثلا امام الاخوين بزي رجل ضخم فأبى ان يستقبل زورقاً كزورق هذين اللاجئين لا يحمل من متاع الحياة ولذائذها الا قلباً نقياً نابضا بالاخلاص والوفاء لا يعرف التملق والرياء .

نعم . . لقد توفي الشريد المجاهد فحطم قلب اخته وخارت قواها وانهت حياة التمريض وخرجت من المصح بعد ان فقدت آمالها في الحياة بعد ان قضى اجل فؤاد . . ويا لهول المشهد .

لقد شحب لونها . . وغارت عيناها في وجهها وكأنها لا تود ان ترى أحدا بعد وفاة اخيها .

فقدت صوابها . . من جراء تلك الصدمة العنيفه التي ارادت الايام ان تفجعها بها .

وصرع فؤاد فتحطمت اعصابها واصبحت دقية المزاج وكفرت بالوجود وتشبثت بالانانية بعد وفاته لقد اصبحت تكره كل شيء في الحياة حتى نفسها لقد كانت تسرح في واد ذكرياتها الاليمة .

وصدى صوت قلبها الباكي يردد في اغوار ذاتها الى متى الصبر وكيف يجدي الصبر . . ان لم يكن فيه رجاء وامل . ؟

اجل تنكرت لها الايام واحالت نعيم حياتها الى جحيم متقد وعاشت تسخر في بحر متلاطم من الهجوم والاحزان التي تنبعث من صميم واقعها فعزفت على اوتار قلبها نشيد الهاوية فألفت مأساة حياتها المؤلمة ولتحدث الوجود عن الكيفية الازلية .

ولا يسعها الا ان ترسل التنهدات المحرقه نقماً على البؤس المسيطر على كيانها .

وشيدت يد الالم جدارا منيعاً مليئاً بالالام والاحزان . . والانات والحسرات متسرباً في وجدانها وليت اليراع يصور حقيقة واقعها المشؤوم .

تحطمت آمالها وذوت زهرتها التي عثرت عليها بعد سني التشريد والتعذيب ... وفي اخوها ففقدت الحب والحنان والشعور .

نعم حطمت يد الايام فتاتنا ففجعت بموت فؤاد وبفقده فقدت احساسها وغادرت المستشفى الذى يذكرها باللوعة والشجن وراحت تبحث عن بداية

قصته جديده تغزل خيوطها الاقدار وتنسجها النكبات لترثديها هدى .

وسرعان ما وجدت خالتها المنشوده فها هي تقف امام احد المتاجر تبحث عن عمل يقيها الاعياء وذكرى ماضيها الاليم الذي حز قلبها ليبقي فيه آثام الجريمه مجسمة .. فتطل الى الكون من ملامح عينيها لتبدي عدالة الارض وعدالة البشر .. وعدالة الاقدار .

ووفقت في ذلك حيث ما رست مهنتها كصانعه في متجر صغير فهل ستنصفها الاقدار ؟ لقد كان لها امل وحب وسعاده فماتت سعادتها ورفاهيتها بموت فؤادها لقد كان لها هدف في الحياه عثرت عليه أخيراً فتلاشى هدفها واملها في متاهات العدم بدون عودة .

اتستطيع العيش بدون يأس والم كلا ، فخيال اخيها يلاحقها ويناجيها ويحملها على الصبر كما يلوح شبح العودة الى الارض المقدسة الى فردوسنا المغتصب الى يافا فينبعث الامل في صدرها فتحيا من جديد بعد ان تكون قد قاربت على الغرق والتهور .

هذا وطيف فؤاد ما زال يحيا في طابقة جفونها وذكره موضع البحث لديها ولكن اين غدى الان ؟ لقد انتزعته يد الاقدار من بين يديها بعد ان عثرت عليه وبوجوده وجدت اسمى معاني العطف والحنان الذي حرمت منها منذ سنوات انتزعته الاقدار من يديها ولكن هل تستطيع انتزاعه من فؤادها الدامي . ؟

وواصلت هدى اعمالها تبذل الجهد الجهيد كي تقوم بواجبها واعمالها كاملة .

ولم تكن تعليقات المجتمع على تصرفاتها لتلفت انتباهها فما تنظر من حولها الا وترى شرذمة الشبان يتبادلون شتى الاحاديث والاقاويل كي يلفتوا انتباهها ولكن . . ولكن عاطفتها ماتت وحبها توفي كان لها قلب يشدو ويترنم على أوتار ودقات قلب اخيها وبموتـه مـاتت اغنياتها

وتحطمت امنياتها وفقدت العدالة والرحمة . . وطردت من مكان عملها بـلا مبرر او سبب . . . وضربت في ارجـاء الكون تبحث عن العدالة ... ولكن ...

« ٦ »

ان الحياة عندما تقسو على الانسان تأبى الا ان تجرعه كأس البؤس والحزن حتى الثماله

ورغم جميع النكبات التي تلقها فتاتنا ظلت صامدة تكافح الزعازع والاهوال التي تقف في سبيلها فدثرت فوادحها وسارت في طريقها غير مكترثة بشيء لتصل الى هدفها المنشود الذي افنت عمرها وشبابهامن اجله .

انه هدفها الاسمى .. (انها العدالة) ولكن متي وأين ؟ وين ستجدها ؟

وقد قال جبران في مؤلفاته

العدل في الاض يبكي الجن لو سمعوا

به ويستضحك الاموات لو نظروا

فلا اثر للعدالة في دنيانا تلك الا للذينباعوا ضمائرهم .. وداسو عزتهم ... وركلوا كرامتهم ... فهذه هدى .. فقد خلد جهادها ... ونحت اسمها على جبين الزمن ليكون نبراساً ينير الارض ويبعث في النفوس الخامده روح التفاني والفداء والكفاح من اجل الوصول الى الاهداف التي يستعصي على الانسان حلها ونيلها .

فكلما انطوت نكبة .. استعدت لواجهة غيرها . . فالنهار قد بدأ يحتضر ليودع الكون سائراً في طريقه الى عالم الازليه .

وهطل الغيث غزيراً ليزيد من هناءة السعداء ويشقي المعدمين . .

وبدأت الشمس تتوارى ما وراء الافق . . وهدأ الكون اجلالا وتقديسا لرهبة الظلام . . وفتاتنا تجوب الازقة والشوارع وقد ارهقها الطوى والسهاد وشدة البرد القارس لقد وقفت هذه العوامل سداً منيعاً امام هدى . . فلم تكتفي بما فعلته بها عندما تركت المتجر وسارت تبحث عن عمل أنسب . . فأصبحت الان شريده . لا مأوى لها ولا أنيس الا الظلام الذي أسدل ستاره الدامس ليوري جسدها المعدم ونفسها الشقية .

ولكن هل يستطيع تحطيمها واخفاء الامها الا أنه لم يستطع بل أعلن عجزه عن اخفاء اناتها ومواجعها . . كما أعلن عجزه عن مساعدتها وانه ليس بعادل . . فلو عرف العدل لاوى تلك المخلوقه البائسة بين طياته السوداء ، او لسار بها الى عالم العدالة والحق .

لو كان عادلا لاستل انفاسها منذ أمد فترتاح من مصائب الدهر وبناته التي اجتاحتها في شبابها . . ولكن لا مناص لانسان مما خط له القدر فان كان خيرا يعامله الناس معاملة حسنه . . وان كان شرا فسيظلمونه ويزيدون من حرمانه وبؤسه .

اردى الليل ثوبه الدامس الذي تنصب من طياته المياه . . وتعصف في ثنياته الاعصار لتفتح ورود الصباح . . فتنمو الاعشاب والنباتات ويسعد الاغنياء والعاملون . . وفي الوقت ذاته يلتاع الاشقياء ويموت المحرومون . . أين المأوى وأين الطعام . ؟ أين ما يغذي جسدها ليصد امام العثرات . . انها شقية في حياتها اذ بقيت تقاسي أمر الآلام الى ان تمثلت ذكرى الماضي الوجيع ذكرى اخيها فؤاد . فتسمرت

قدماها ولم تستطع حراكاً . وقد مر طيف الأخ القتيل بمخيلتها يواسيها وتابعت الفتاة سيرها . . فألقت بها الريح الى منعطف طريق تلتف على جانبيه العمارات وتطل عليه الشرفات الواسعة وتحيطه البساتين الغناء .

وامطرها الليل بوابل من البرد والمطر . . فاضطرت ان تنهي سيرها وتتوارى تحت احدى الشرفات وما تزال على وقفتها تلك الى ان طوى الليل صفحته السوداء فسطر التاريخ صفحة جديدة من سجله المليء بالعذاب والسعاده . . بالتفاؤل والخذلان بالشقاء والهناء .

وبان النهار معتماً كئيباً وتراكمت السحب لتخفي وجه السماء الذي اسود خجلا واسفاً على فواجع بني البشر .

وستر الجليد وجه الارض وكأنها خشيت من لمس قدمي فتاتنا الشقيه . . خجلت من مواجهة وجه هدى . وخشعت يسترها ثوبها الفضفاض الابيض خاضعة امام كفاح الكادحين وتضحيات البائسين .

« ٧ »

واشرق مع فجر ذلك اليوم وجه يبنض بالبشر والرحمة . وقد تصدع جدار ذلك المنزل الذي وقفت تحت شرفته في تلك الليلة من العويل والنحيب . وانحاز النوم جانباً . مفارقاً جفون ربة البيت وطالما تمنت حلول الصباح لتعلم مصدر ذلك العويل الذي تتفتت له الاكباد . انه عويل هدى الطريدة المعذبة . وبصوت ملؤه الرحمة والحنان هتفت تلك المرأة في وجه هدى تستصرخها الاسراع في صعود السلم .

ولم تكن لتصدق فتاتنا بان الدهر سينصفها . وأخذت تلتهم الخطى على درجات عدة يتصبب عليها الماء بغزاره .

وما ان انهت ارتقاء آخر درجة من السلم حتى استقبلتها فتاة حسناء تلوح وكأنها شبح يهزها البرد الشديد كالريشة التي تهتز في مهب الرياح .

والقت الفتاة تحية تفيض باللوعة والالم على المرأة الحسناء فأجابتها بالمثل وقد دخلت مع المرأة الى المنزل عندما دعتها ذلك .

وحدقت النظر في ارجاء الغرفة . فلم تر الا بعض اطفال استلقوا فيها وقد ظهروا وكأنهم اسمال بالية . تنساب بقربهم المياه التي تخترق جدران المنزل وسقفه لتضاعف الآم الابرياء وجالت مرة ثانية بطرفها علم تلمح شيئاً آخر في الغرفة فوقع بصرها على اناء حديدي كساه الصدأ .

وقطعة بطانية ممزقة . ثم بعض المتاع لتعمل مكان الوسادة . هذا

ما في الغرفة من متاع وقد وضعت جميعها في الزاية اليمنى من الغرفة وهذه هي الزاوية الوحيدة التي لم يكن ينصب الماء من سقفها .

عندها . دب الامل . وانسابت الحياة ونبض الدم في عروق هدى اذ ايقنت بأن الكون يعتنق امثالها . وان الطبيعة تحوي بين افرادها اشقياء عدموا من العدالة والانصاف .

ولا بد لتلك الفتاة في لحظاتها الحرجه من أن تتكلم . لا بد لها من الحديث . فتلعثمت الكلمة بفيها قبل ان تخرج ثم قالت : اتعيشين هنا وحدك يا اختي ؟ واغرورقت عينا المرأة بالدموع واردفت تقول مالك مالك يا عزيزتي كلميني ؟ وتقدمت المرأة مشيره الى الاطفال . الى الكتل اللحمية وقد استلقوا على وجوههم يدفعون الليل علهم يجدون في غدهم طعاما قالت والدموع تنهمر من عينيها « اعيش مع اطفالي هؤلاء » .

ولم تكتف هدى بتهييج الذكرى للبائسة المسكينة بل دفعها حب الاستطلاع لان تسألها « وأين زوجك » ؟ واحتارت المرأت في رد الجواب وقالت : يا عزيزتي انني لا استطيع سرد قصتي فدعيني . دعيني ولا تثيري الآمي ومواجعي . واخذت هدى تمطرها كلمات العزاء فقالت « يا سيدتي الآمي الآمك . اوجاعك واوجاعي فاعلميني يا عزيزتي بما حل بك وبعد اسرد لك قصتي . بربك تكلمي بايجاز تكلمي » .

هذا وقد اهتزت الجدران التي كانت تقف بقربها فتفجرت لهول الحديث المؤلم .

ومسكت بيدها لتجلسها على حافة البدلانية التي سترت جثث الاطفال الخامدة . الجثث المتجمدة . لولا خيوط من الحياة . انها بقايا خيوط الامل في العيش . وجلستا . وبدأت المرأة تبث زميلتها الجديدة مأساتها علها تشاطرها الوجيعة والالم .

فقالت : كنت اقطن مدينة (اللد) وهي احدى مدن فلسطين الغناء . واحببت شابا من مدينة يافا كانت الصدف قد قادته الي واسمه (فؤاد) واسفر حبنا عن زواج موفق وانتقلت مع زوجي الى مدينة (يافا) لاقطن في منزل والديه عشت معه حياة على اتمها من السعادة وانجبت منه هؤلاء الاطفال الثلاثة الذين ترينهم امامك .

وقضيت اجمل الايام معه الى ان حانت تلك الحظة التي عزمنا ان نحتفل فيها بزفاف اخيه (مدحت) وهنا . اربدت وجنتا هدى وشحب لونها وكأنها عرفت مكنون الامر وسر القدر واجرامه الوحشي . واصغت بصمت تحملق في وجه زميلتها لتحصل على الكثير من المعلومات ثم تصارحها بالحقيقة فلم تتركها لتمسح ما تصبب على وجنتيها من دموع ، بل حثتها على الحديث والاسراع به لانها ترقب نهايته بقلب راعف لاهف فتابعت المرأة تقول : واختار (مدحت) عروسه وقد كانت على جانب من الرقة والاناقة تتبهر كل من يراها ولكن وخنقتها الدموع وحشرجات صوتها المتقطع وبعبارات تخنقها العبرات . تابعت : ولكن سعاد لم تكن عروساً لمدحت اذ بينما كنا نحتفل بالزفاف بفرح وسرور داهمتنا عصابة ممقوته من جنود الاوغاد الاسرائيليين . واماطرتنا برصاصها المغموس بدم الشهداء . فأصبحت

قعاة الاحتفال تترنح بالجثث الخامدة . فمنهم من اصيب بجراح بليغه . ومنهم من القي فاقداً انفاسه يتخبط بدمائه النازفة . ومنهم من غبي متخفياً نازف الجراح ، راعش البدن . فكان نصيبي واطفالي الفرار مع من حالفهم الحظ بالنجاة من براثن الموت . وها نحن يا عزيزتي كما ترينا بلا معيل او نصير وليس لنا الا الله .

عندها القت هدى بنفسها على الاطفال تحتضنهم وكأنها ام رؤوم فقدت ابناءها منذ زمن لتعود فتلتقي بهم الآن ثم القت بنفسها تقبل زوجة اخيها والجميع في دهشة لما يدور ويحدث . وتردد العبارات « أنا عمتكم هدى انا هدى بنفسي يا عزيزتي . »

فعرفتهم بنفسها وسردت لهم قصة حياتها منذ افترقوا .

وبدأت معيشتها الجديدة واقفلت دفتر مآسيها متناسية نكباتها بلقاء ابناء اخيها وامهم واصبحوا هم عزاءها الوحيد .

وعاشوا جميعاً ينتظرون الرحمة من أناس يدعون الرحمة والعدالة وهي من الشعوب المتآمرة على حياة اللاجئين الابرياء الذين ارادت لهم الايام ان يهيموا في بطاح الارض ايتاماً وأراملا وثكالى فهذه هي ارادة المستعمرين وارادة من ناصرهم من الحكام الغادرين فسفكوا دماء شعب عريق الاصل وشردوه في عالم فقدت فيه العدالة واي عدالة تلك التي اعنيها سوى الانصاف وارجاع البؤساء الى ديارهم . وتكوين دولة فلسطينية تدعم حقوقنا في الحياة الحرة الكريمة ولكن أهذه عدالة . ؟

أمن العدالة أن اعيش مشرداً

ويظل غيري في الحياة منعماً

أمن العدالة أن نظل لما ترى

ويظل غيري ضاحكاً متبسماً

امن العدل لديهم ان يخرجوا اهل البيت من بيتهم ويحلون محلهم شراذم واذناب صهيونية ولقد .

عبروا لجة البحار لصوصاً

وعدوا كالذئاب في فلواتك

لن تبقى تلك الفئة التي شتتها الله منذ نشأتها لان ارادة الشعوب ستنتصر . وستنتصر ارادة العرب لانهم يقررون غيرما يقررون ويرسمون خططاً قويمة غيرما يرسم الاوغاد واتباعهم . فرغم ارادة الغرب سننتصر وسنعود الى عريننا المسلوب لا .. لن يستكن الاحرار

لن نستكن وفي اجسادنا رمق

من الحياة فيوم الثأر ملتزم

انها الايام تمضي مسرعة تعبث بالانسان تارة وتعده طوراً. فيوم لك ويوم عليك .

ليلة حالكة السواد . وليلة اضفى اليها القمر بنوره الساطع المنير انسان مظلوم وآخر ظالم . اناس ذو ضمائر وآخرون فقدوا ضمائرهم .

شعوب تتمتع بكامل حريتها . وشعوب ترزح تحت الاستعمار المرهق .
حياة كلها متناقضات ومتاعب لن تزول ما دام هناك بشر .

وظهر القدر جميع ما عنده من قسوه وتعسف ومضى الاطفال وامهم وهدى الليالى المتتاليه .. بلا غذا الا من قطع خبز وفتات قديمة ... رووا بها جوعهم .

فلو ان الدهر عادلا لانصف هذه الارواح البريئه واصدر حكمه عليها .. فإما ان تعيش عيشة حسنه او ان اتحفهم بالموت العاجل

وجابت هدى في المدينة باحثه عن عمل واستفسرت في كل مثقة عن مكان تعمل فيه ولكن يا لظلم البشر الهائل . فكم من مرة ردوها وصرخوا في وجهها متمتمين مالا يليق ان يقال لمثلها . ولم يكتفوا بهذا الحد من التعسف والقسوه . بل كانو يحرضون الاولاد ليلحقوها في الشوارع ويستهزئون بهـا غير مبالين بكرامتها التي ابـت عليها أن تعاملهم بالمثل .

وسدت جميع منافذ الرزق في وجهها فلم تجد عملاً بسيطا لتحصل على قليل من الغذاء لتسد به رمق الاطفال الجياع .

واخيراً انهكها الطوى . وفتك بها التعب وخارت قواها . وعزمت ان تجد حلا نهائياً لمآسيها ونكباتها .

وما أكرم القدر اذ سارع في انهاء قصة شقائها فما ان اسود اديم الليل ولم يكتمل القمر بعد . لكنه اغرق الكون بنوره الضئيل الباهت وطفق

الاصدقاء والاحباء يجوبون الشوارع والحقول والحدائق الغناء . يجنون ما استعذبوا من ثمار دون ان يشعروا بأن غيرهم يقضي ليله ساهرا من حرقه الجوع والالم .

وبلا رهبة أو وجل . أمعنت هدى في السير والتجوال . وبلا علم أو وعي . تابعت سيرها وكان القمر قد ارسل جميع ما عنده من نور ليصبغ وجوه العذارى . ويبدي خفايا الليل البذيئة . ويندد بتعسف الكون على بني الانسان .

وما هي الا مدة وجيزه حتى انطلقت بعض طلقات ديناميت من خلف جبل قريب .

وبتأثير تلك الطلقات . ضج البشر . وتصدعت الجدران . وناحت الاطيار . وولولت الثكالى وهرع الناس مسرعين للاستفسار عن مصدر الصوت والموضع الذي حلت به الكارثة .

ولم يهدهم الى مكان الحادث الا بعض تمتمات تخرج من فم حارس المجنة .

انه العم أبو زياد يقف بالقرب من قبر كتبت عليه عبارات يصعب تفسيرها في حلكة الليل . وعلى بلاطة القبر . جثة تحركها بقايا زفرات وركض من في المدينة الى المقبره يقودهم انين ونحيب مرير ينبعث من المكان المذكور فتمتزج الانات بضوء القمر الذي اردى الكون بنوره الواضح .

وهالهم مرأى شبح يتمدد على بلاطة اللحد يقف الى اليمين منه الحارس ومسدسه صغير وضع بالقرب من الجثة .

وحملق المتألبون حول القبر في وجه صاحبة الجثة . حقاً . وبدون حراك ولم يسمع في ذلك الليل الرهيب الا هتافات وأوامر وعربدات فهذا يستصرخهم الاسراع ليروا . وذاك يأمرهم بألا يتألبوا حولها . وتلك تولول بأن يأخذوها الى المستشفى حالا . وأخرى تقول مسكينة ماذا جرى لها .

هذا شأن البشر . كلام فارغ لا فائدة منه . فكل دقيقة تمر تساهم في اخراج بقايا الزفرات والانفاس من اغوار ذاتها .

انها روح هدى تتصاعد صارخة امام عرش العلي جل شأنه ليبطرها العدالة والانصاف وقد حرمت منهما طيلة ايام حياتها .

ولم تمض لحظات حتى أحيط جثمانها بجمع غفير ورفعوها عن القبر والدم ينزف من جراحاتها . وحملها المسعفون الى المستشفى وبقيت شرذمة منهم تستفسر من حارس المجنة عن سبب وقوع الحادثة .

واستطاعوا بأن يعرفوا ان القبر الذي استلقت عليه هدى . هو قبر اخيها (فؤاد) وقد قصدته عندما ضايقتها ازمه حتمت عليها بأن تنتحر . وبقوة الهية . وكأن الاقدار شاءت لها ان تستعيد قواها فتحيا بعد ان كادت تموت وتتسلل منها الانفاس .

لقد عاشت ثانية . وبعد اليأس علمت المرأة بما حدث لهدى فحملت اطفالها ومضت الى المستشفى حيث التقت بها .

وحمدت الله على ان تلك المسكينة قد انقذت من بين فكي الموت الكاسر .

وتوالت الخدمات لهدى . فانقذت من الموت وعادت تستعيد قواها تنتظر فجر العدالة التي أغمت شبابها في البحث عنها ولم تجدها .

ترى لماذا عادت الى الحياة هل ستجد عدالتها نهائياً . وما ان قاربت تمام الشفاء . حتى أمن عيشها وخصصت لها معونة تقيها الاعياء واليأس . وقضت بقيت الايام مع الاطفال وامهم .

وها هي الايام تمر . وقد مر احدى عشرة سنة على مأساة حياتها وما زالت ترتقب فجر العدالة .

هل ستجدها . هل ستعثر عليها اخيراً ؟ فهذه مشيئة القدر ومشيئة الحكام .

هذا شأن كل لاجيء حرم من وطنه وطرد من منزله ليسام سوء العذاب نازحاً بعيدا عن اهله ووطنه

فمن يكون هذا .؟ ومن تكون حالته تلك . ولا يؤثر الانتحار لينقذ نفسه ان لم تنقذه الايام . وآخيرا وقد طال مدى نزوحنا عن فلسطيننا السليبه ليس لنا نحن النازحين المشردين الا ان نتشبث بالصبر ونكافح ونسير في طرق النضال والتضحية لنستطيع ان ندفع عنا بلاء الدخيل وطغيان العدو الغادر الذي لم يرد الا تحطيم كيان القومية العربية .

انه لا يريد الا تحطيم كياننا نحن العرب ولكن هيهات ان نخضع

لسيطرتهم . هيهات ان يتمكنوا من كسر شوكة الامة العربية باستيلائهم على تلك البقعة المقدسه من وطننا .

انهم لن يستطيعوا اخماد ثوراتنا ضد غدرهم وطغيانهم وجحودهم . ليعبثوا في بلادنا وبيوتنا ومنازلنا كما يشاؤون .

فهلموا أيها النازحون . بل هلموا ايها المعدمون يناصرنا العرب . ويشدون ازرنا . هلموا لنقف صفاً واحداً متماسكي الايدي . نعمل في الميدان يدا واحدا وقلباً واحداً وروحاً واحده امام عدو العرب الاكبر الاستعمار وربيبته اسرائيل .

نناضل بكل جوارحنا لننال حقوقنا المهضومه لان الساكت عن حقه شيطان أخرس .

هيا نلبي نداء الدماء الطاهره التي سفكتها الايدي المجرمه في أرض فلسطين فنستعيد جنتنا الخالدة .

لا . لا لن نحي مشردين . معذبين نهيم على وجوهنا في بطاح الارض نأتمر خاضعين لسيطرة الدخلاء والمستعمرين .

خلقنا احراراً ولن نحفل بالمصائب والنكبات بل سنحيى نناضل ونكافح الى ان ننال حريتنا ونستعيد جنتنا . سنكافح الى ان يخضع القدر جاثياً امام كفاحنا وجهادنا . ويعطرنا العدالة كاملة .

علينا ان نتشبث بالامل . أمل العودة ونيل الحرية والعدالة ونردد دوماً :-

سنعلن الثورة الكبرى مجلجلة

اما الحياة واما الموت والعدم

الى الامام الى الثورات نعلنها

شعواء تحرقهم شعواء تضطرم

الله اكبر لا عاشت ولا بقيت

دويلة سنها تروما ن والعجم

بنت الاطلال

جهاد جميل حتر

اعتذار

نعتذر للقارىء الكريم عن بعض الاخطاء المطبعيه وغيرها التي وقعت سهواً في هذا الكتاب التي لاتخفى على احد .